Sufism in Basra
Rabia Al-Adawiyya: The lover of Allah

Dr. Habib Abdullah Abdulnabi Al-Falah
College of Education for girls
University of Basrah

Abstract:

Praise be to Allah, and Allah bless Muhammad and his divine good.

The biography of Rabi'a has got many suspicions, by both narrators or Orientalists and who pursued them from Arab researchers.

But after reviewing the historical narrations and verified them from Al-jahiz's narration who was from basra (same city of Rabia) as well as he was her contemporary so the study differentiates between Rabi'a Al-adwiyya which was from Ash-sham (Syria nowadays). One reason of this mixture between both of them is because of error in translation of book tittled (To the korat Alawlya) by Nicolson which led some Arab searchers to accuse Rabia in doing bad things as well as they gave her dramatic distorted character .

التصوف في البصرة
رابعة العدويةالعاشقة الإلهية

م.د. حبيب عبدالله عبدالنبي الفلاح
كلية التربية بنات / جامعة البصرة

الملخص :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

إن سيرة رابعة العدوية قد دخلتها شبهات كثيرة سواء من الرواة أم من كتابات المستشرقين وممن تابعهم من الباحثين العرب. ولكن بعد مراجعة الروايات وتدقيقها أخذنا اسمها من رواية الجاحظ لأنه من أهل البصرة وقريب من عصرها وهي بصرية وقبيلتها تسكن البصرة.

وميزنا بين سيرتها الشخصية وسيرة سميتها رابعة أو رايعة الشامية من سيرة الشخصيات التي ورد ذكرها مقرونا معهما.

وإن خطأ الترجمة في نسخة نيكلسون لكتاب (تذكرة الأولياء – فريد الدين العطار) فيما يخص سيرة رابعة هو ما أساء إلى سيرتها الخصية، ومن ثم جاء بعض الباحثين العرب الذي اتبعوا خطى نيكلسون فيما وسم به رابعة وزادوا عليه من خيالهم فخلقوا شخصية دراماتيكية مشوهة لرابعة البصرية شبهوها بشخصية تيريزا النصرانية، فضلا عن أن ما نسبوه لرابعة البصرية من التبذل والمجون لم تذكره الكتب التي ورد فيها ذكر لرابعة لا من قريب ولا من بعيد، ولا تصريحا ولا تلميحا.

فمتصوفة البصرة رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية المولدة في (٤٥هـ أو ٥٠هـ) ووفاتها في سنة (ت١٣٥هـ) طاهرة الثوب مما نسبوه إليها، فرابعة نشأت في قبيلتها التي عرف جل أهلها من الرجال والنساء بالتصوف كمعاذة العدوية وزوجها وغيرهم ، وكانت رابعة سراجا من التقوى والورع والحكمة يقتبس من نورها أهل الله من عباد البصرة وزهادها ومتصوفتها.

وترقت رابعة البصرية في مراتب السلوك الإلهي فعشقت الباري عز وجل حتى قالت معبرة عن منزلتها العبادية :إلهي (ماعبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن حبا لذاتك).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين حبيب الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فإن هذا البحث هو واحد من مشروع دراسة للتصوف في البصرة وللمتصوفة فيها، كما عرفناها مما سطره أصحاب هذا الفن عن عقائدهم ومراتب سلوكهم إلى الله، لا كما كتب عنهم بقلم بعض المستشرقين الذين كثيرا ما أساءوا بأقلامهم إلى الإسلام ورسوله والقرآن الكريم، وممن تابعهم وسار على هداهم من العرب.

فأخذوا يرددون كلماتهم وهم مؤمنون بصحتها وصدقها من دون بحث أو تمحيص أو تحقيق، فما يقوله المستشرق مسلم بصدقه وإن خالفه العربي اتهم بالجهالة وعدم التثبت من المقالة، وهذا أمر علنا نأتي عليه في يوم من الأيام إن وفقنا الله إلى الوقوف عليه.

وهذه رابعة العدوية من المتصوفات البصريات التي شوه صورتها المستشرقون ومن تابعهم من العرب الذين استلطفوا كتابتهم عنها ورددوها في كتبهم، وآخر رأى فيها شخصية درامية فصنع منها فلما، فشوهت شخصيتها بقصد أو بغير قصد وانطبعت في أذهان الناس شخصية لرابعة الماجنة التي تابت وصلحت توبتها.

ونحاول في هذا البحث أن نقف على التشوهات واللبس في شخصيتها بعيدا عن الخوض في البواعث ما لم تتوفر لدينا الأدلة على ذلك؛ لأن البحث العلمي ينبغي أن يعتمد على الأدلة والبراهين لا التكهنات، فضلا عن بيان مقاماتها من خلال عباراتها المضمنة في نثرها أو قصائدها.

وإذ رأينا أن البحث طال وسيطول فسنقتصر على ما أوردناه فيه على أمل أن نناقش جوانب أخرى من شخصيتها التي كانت منارا للمتصوفة ممن عاصرها ومن جاء بعدها.

ولاسيما أنها كانت من بني عدوة القيسية الذين لمع في سمائهم نجوم عرفوا بالزهد والعبادة والانقطاع إلى الله تعالى كمعاذة بنت عبدالله العدوية التي سمعت الإمام علي بن أبي

طالب على منبر جامع البصرة يقول: (أنا الصديق الأكبر)[١] ، وزوجها صلة بن أشيم العدوي، وأم الدرداء، وعبد الواحد بن زياد أو زيد.[٢] وغيرهم.

ونأمل أن نقف في بحث مستقل على ألفاظ الحب الإلهي عندها بعدما نميز بين شعرها وشعر غيرها اعتمادا على ما ثبت لها، فضلا عن الكلمات المأثورة عنها.

هذا ونسأل الله تعالى التوفيق فيما قدمناه، وأن يوفقنا إلى تحقيق ما أملناه من البحث في التصوف الإسلامي سواء أكان على مستوى البصرة أم على مستوى البقاع الإسلامية كلها.

هدف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على التصوف والمتصوفة في البصرة، فبدأت بشخصية رابعة العدوية القيسية التي هي واحدة من متصوفة البصرة؛ لنقف على الملابسات والخلط الذي دخل سيرتها الذاتية، ومن ثم نبين علاقتها مع متصوفة عصرها، وما ميزها في عبادتها لله تعالى عنهم.

مفهوم التصوف:

ذهب القول في بيان معنى التصوف إلى طريقين، بحسب الظاهر والباطن، فمنهم من نظر إلى ظاهرهم في لباسهم، فنسب الاسم إلى لبسهم الصوف، ومنهم من قارب بين صفتهم وصفات صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

- (إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفَّة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٣]
- (إنما سموا صوفية للبسهم الصوف)[٤].

ومنهم من نظر إلى باطنهم، فقال:

- (الصوفي من صفا قلبه لله)[٥].
- (الصوفي من صفت لله معاملته)[٦].

- (الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر)[٧].

وناقش عبدالكريم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) في رسالته ما قيل في بيان معنى التصوف، بقوله: (ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة؛ فيقال: رجلٌ صوفي، وللجماعة صوفيَّة، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف، وللجماعة: المتصوفة.

وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق. والأظهر فيه: أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، ولهذا يقال: تَصوَّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس: الصوف!! ومن قال: إنه مشتق من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيدٌ في مقتضى الله.

أما قول من قال: إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف.

ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق)[٨].

وقد ناقش ابن تيمية أربع مفردات قد تكون أصلا لاشتقاق مصطلح " صوفي "، وناقش القشيري قبله أغلبها، وهي: (الصُّفَّة، والصف، والنسبة إلى قبيلة صوفة بن بشر، وإلى لبس الصوف) ورجح عودة تسمية " صوفي " إلى لبس الصوف. وذلك في قوله : (وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي فإنه من أسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك فقيل أنه نسبة إلى **أهل الصفة** وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صفي وقيل نسبة إلى **الصف** المقدم بين يدي الله ، وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك لقيل صفي ، وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله، وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي وقيل نسبة إلى **صوفة بن بشر** بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضا لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان النسب فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون

مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها فى الإسلام وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف)[٩].

وفي بيان المعنى الاصطلاحي للتصوف (سئل الجنيد عن التصوف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة وإتباع بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الشريعة)[١٠].

فالصوفي هو الذي اقتدى بالرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وسار على هديه ، فأحل حلاله وحرم حرامه. وطهر قلبه من كدورات الدنيا وشهواتها ولذتها، فاستوى عنده التبر والتراب، وطهر قلبه من الملكات السيئة كالحقد والكراهية والحسد والنفاق وغيرها. فيكون ممن صفا قلبه لله في معاملته للناس، حتى يكون قلبه نظيفا طاهرا محلا لتجلي الله الرحمن الرحيم الذي قال في حديث قدسي: (لم تسعني سمائي ولا أرضي لكن وسعني قلب عبدي المؤمن)[١١].

فالصوفية يمثلون مجموعة من أولياء الله الذين قال الله تعالى بحقهم ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] .

وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في حديثه عن التصوف والمتصوفة، فقال: (وأصله أن طريقة هؤلاء القوم، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة)[١٢].

ولئن نأخذ معنى الصوفية من أعلام الطائفة أحق من نأخذها من غيرهم، فأهل العلم أدرى بمصطلحات علمهم من فرضيات غيرهم؛ لأن أهل مكة أدرى بشعابها.

وقد عرفنا من قبل أن من الصوفية عبدالكريم القشيري الذي رفض أن يكون أصل تسمية الصوفي مشتق من لبس الصوف لعدم غلبة لبس الصوف على أهل هذه الطائفة، وعرفنا مذهب القوم في هذه التسمية من جواب الجنيد – وهو أحد أئمة هذه الطائفة وقدوتها – على سائل سأله عن علة اسم صوفي، فأجابه قائلا: تصفية القلب.

نخلص من هذا إلى أن مصطلح صوفي ليس مشتقا من كلمة " الصُّفَّة "، ولا هو مشتق من كلمة " الصف " على اعتبار أن سالكي هذا الطريق في العبادة يلزمون الصف الأول في صلاة الجماعة والجمعة، والأمر على غير ما ذهب إليه القوم، فهم لا يحبون الظهور، وإنما يفضلون كتمان ما عندهم من أحوال ومقامات حتى يأذن الله بكشف ما أراد تعريفه للناس.

ولا يخفى على ذي لب أن لبس الصوف ليس علة في تسمية هؤلاء العباد بهذا الاسم لعدم غلبة هذا النوع من اللباس على أهل السلوك والعبادة.

فما نذهب إليه في تسمية هؤلاء النفر من القوم بالصوفي أو تسميتهم بالصوفية، إنما هو من سلوكهم مسلكا يرجون به "تصفية القلب" لله تعالى، وما كان لباس بعضهم للصوف إلا زهدا بهذه الدنيا أو لفقرهم وإلا فالمعروف عن بعضهم الآخر يلبسون ما يظهرهم بأجمل مظهر أمام الناس لئلا يزدريهم من غرته الدنيا وبدل نفسه بالثمن الأوكس.

نشأة التصوف:

ذهب بعض العلماء في نشأة التصوف والصوفية إلى أنه (أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية)[١٣].

فالتصوف الذي ابتدأ مع الحسن البصري كان قائما على الزهد والخوف من الله تعالى، ثم اتخذ التصوف وجهة الحب والعشق الإلهي على يد رابعة العدوية التي تغنت بالحب الإلهي شعرا ونثرا.(١٤)

ولا يخفى على المطلع أن الزهد والخوف والتوبة والبكاء مراتب يمر بها السالك الصوفي ليصل إلى مرحلة الحب والعشق الإلهي، بعد اخلاصه لله وتنزيهه للعمل من أن يكون فيه ما ليس لله، فيصل إلى مرتبة وصفها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: (ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك).(١٥)

تشابه الأسماء وتداخل السير:

ظهرت في كتب التراجم والأدب شخصيتان عرفتا بالتصوف والحب الإلهي تحملان الاسم نفسه، وهما رابعة العدوية البصرية، ورابعة أو رايعة الشامية.

وتشابه الأسماء هذا أدى إلى تداخل في السيرة الشخصية للاثنتين، من أقوال، وكرامات، وأشعار، وما إلى ذاك من المتعلقات بشخصية كل منهما؛ لذا نود في محاولة التفريق بينهما أن ننهج إلى استعراض أسماء الشخصيات التي اقترن ذكرها مع هاتين الشخصيتين، ومن ترجمة هذه الشخصيات نستشف ما يناسب شخصيتنا التي هي محل البحث.

فمن هذه الشخصيات التي ورد ذكرها:

- الحسن البصري (٢١ – ١١٠هـ) كانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة، ولد بالمدينة، وشب في كنف الإمام علي عليه السلام.(١٦)

قيل أنه خطب رابعة العدوية .(١٧) وكان يزور رابعة مع مالك بن دينار (ت١٣١هـ) ، وشقيق البلخي (ت١٩٤هـ).(١٨)

- أبو ميمون مالك بن دينار توفي (١٣١هـ) قبل وباء الطاعون الذي أصاب البصرة في العام نفسه بأشهر، وهو من عباد البصرة وزهادها ومتصوفيها، ومن رواة الحديث فيها.

عاش في البصرة وتوفي فيها.[١٩] وكان يزور رابعة مع الحسن البصري (ت١١٠هـ)، وشقيق البلخي (ت١٩٤هـ).[٢٠]

- أيوب السختياني (٦٨ – ١٣١هـ) توفي في البصرة بالطاعون عن (٦٣) سنة، وهو من تلاميذ الحسن البصري.[٢١]
- أبو محمد عبدالعزيز بن سليمان الراسبي (ت١٥٠هـ) كان عابدا زاهدا من متصوفة البصرة من الطبقة السادسة، إذا ذُكرتْ القيامة خرَّ مغشيا عليه، وكانت رابعة العدوية تسميه سيد العابدين.[٢٢]
- شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي (٨٢ – ١٦٠هـ) من أئمة الحديث، والتفسير، له كتاب في تفسير القرآن الكريم، وله كتاب الغريب في الحديث، سكن البصرة وتوفي فيها.[٢٣] رافق سفيان الثوري، وجعفر بن سليمان في زيارتهم لرابعة العدوية.
- سفيان الثوري (٩٧ – ١٦١هـ) الذي ولد، ونشأ في الكوفة، ثم خرج من الكوفة هاربا من المنصور الدوانيقي سنة (١٤٤ هـ) ، فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي العباسي فهرب منه إلى البصرة فعاش فيها متخفيا حتى توفي فيها.[٢٤]
- أبو بشير صالح بن بشر المري القارئ (ت١٧٢هـ) ، وقيل سنة (١٧٦هـ) ، وهو من أهل البصرة . حدَّث عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وبكر بن عبدالله رجل قاص عرف بروايته للحكايات وقصص الأنبياء والصالحين ، التي يشرحها بأسلوب مشوق ومحبب ، ثم يستنبط منها العبر ؛ لكل معتبر . وهو من رواة الأحاديث النبوية، لكن عامة أحاديثه التي يرويها من المنكرات؛ إذ يقول أئمة الجرح والتعديل أنه متروك الحديث.[٢٥]
- أبو سليمان جعفر بن سليمان توفي (١٧٤هـ)، وعلى رواية أنه توفي (١٧٨هـ) زاهد متصوف من أهل البصرة، روى عن مالك بن دينار، وروى عنه الأصمعي (ت٢١٦هـ)، كان من الموسرين، وقد خطب رابعة العدوية، لكنها رفضت.[٢٦]
- عبدالواحد بن زيد (ت١٧٧هـ) .[٢٧]

- أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي (ت١٩٤هـ) ، ذكر ابن خلكان أن وفاته كانت سنة (١٥٣هـ) زاهد صوفي من أهالي خراسان ، صاحب إبراهيم بن أدهم (ت١٦١هـ)[٢٨] وأخذ عنه الطريق ، وهو أستاذ حاتم الأصم ، وهو أول من تكلم عن أحوال الصوفية في خراسان.[٢٩] كان يرافق مالك بن دينار (ت١٣١هـ) ، والحسن البصري (ت١١٠هـ) في زيارتهم لرابعة العدوية .[٣٠]
- رباح أو رياح بن عمرو القيسي أبو المهاجر (ت ١٩٥هـ) من عباد البصرة وزهادها ومن المتصوفة فيها، عرف بالبكاء. روى عن بعض زهاد البصرة والمتصوفة فيها، كمالك بن دينار (ت١٣١هـ)[٣١] ، وواصل بن السائب (ت١٤٤هـ) ، وأيوب السختياني (٦٨ – ١٣١هـ).[٣٢] فيما يروى له موقفا مع رابعة العدوية:
  - قيل: أن رابعة العدوية (نظرت إلى رباح يضم صبيا من أهله ويقبله. فقالت: أتحبه؟ قال: نعم. قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعا فارغا لمحبة غيره، تبارك اسمه. فغشي عليه، ثم أفاق، وقال: رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال)[٣٣].
  - قال رباح القيسي: (كنت اختلفت أنا وشميط إلى رابعة، فقالت مرة: **تعال ياغلام**، وأخذت بيدي، ودعت الله، فإذا جرة خضراء مملوءة عسلا أبيض، فقالت: كل، فهذا والله لم تحوه بطون النحل. ففزعت من ذلك، وقمنا، وتركناه)[٣٤]. وفي هذا القول إشارة إلى الفارق في العمر بين رباح القيسي، و رابعة التي نادته بقولها: تعال ياغلام.
- سفيان بن عيينة الهلالي (١٠٧ – ١٩٨هـ) ولد في الكوفة، ثم انتقل مع أبيه إلى مكة ، وعاد إلى الكوفة وهو ابن عشرين وبقي فيها إلى أن مات فيها . وكان مشهورا بروايته للحديث.[٣٥]
- أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العَنسيَّ الداراني(ت٢١٥هـ) ، وداران أو داريَّا قرية من قرى دمشق ، زاهد صوفي من أهل الشام ، روى عنه أحمد بن أبي الحواري (ت ٢٣٥ هـ) .[٣٦]

- أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري الكاتب (ت٢٣٠هـ) ، الجنيد (ت٢٩٧هـ) يقول : كان أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام. وقد صحب أبا سليمان الداراني، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) ، ومروان بن معاوية الفزاري (ت١٩٣هـ) ، ومضاء بن عيسى الشامي (ت١٩٦هـ) ، وبشر ابن السري (ت١٩٥هـ) ، وأبي عبدالله النباجي (ت١٩٥هـ) وله أخ اسمه محمد بن أبي الحواري يجري مجراه في الزهد والورع ' و له ولد عبدالله بن أحمد بن أبي الحواري من الزهاد.[٣٧]
- سهل بن عبدالله التستري (ت٢٨٣هـ) كان معاصرا لسليمان الداراني (ت٢١٥هـ) ، ولأحمد بن أبي الحواري الكاتب (ت٢٣٠ هـ) ، وقد روى أحمد عن سهل عبدالله التستري.[٣٨]

رابعة البصرية ورابعة الشامية :

نحاول أن نفرق بين سيرة رابعة البصرية ورابعة الشامية، بالآتي:

- إن البصرية ورد اسمها في كتب التراجم، وفي كتب المتصوفة تحت عنوان رابعة العدوية، وذكرها الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحت اسم (رابعة القيسية)[٣٩] ، ويقول أيضا : وهي (من آل عتيك بنو عدوة ، ولهذا تسمى العدوية ، أما كنيتها فأم الخير بنت اسماعيل)[٤٠]. وما ميز ذكر الجاحظ لها أنه أقدم من ذكرها، ولاسيما أنه بصري من مدينتها وقريب من عصرها.

وذكرها ابن خلكان (ت٦٨١هـ) بقوله: (أم الخير رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة)[٤١] ، وذكرها الذهبي (ت٧٤٨هـ) بقوله: (رابعة العدوية البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أم عمرو، رابعة بنت إسماعيل، ولاؤها للعتكيين)[٤٢] ، وقال ابن الصفدي (ت٧٦٤هـ): (رابعة بنت اسماعيل أم عمرو العدوية وقيل أم الخير ولاؤها للعتكيين)[٤٣].

أما رابعة الشامية فقد ذكرت أيضا تحت اسم رابعة بنت إسماعيل، ولكن كثيرا ما يأتي ذكرها مقترنا بذكر زوجها أحمد بن أبي الحواري[٤٤]، وبدون ذكر للكنية معه.

- يذهب ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) إلى أن قبر رابعة العدوية في البصرة، وأما القبر الذي على جبل الطور في المقدس، فهو قبر رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري الكاتب، وقد اشتبه على الناس أنه قبر رابعة العدوية البصرية التي لا توجد رواية تشير إلى أنها غادرت البصرة.(٤٥)
- إن رابعة بنت إسماعيل التي خطبت لأحمد بن أبي الحواري (ت٢٣٠هـ) وتزوجت منه هي رابعة أو رايعة الشامية.(٤٦) وكل شامي اقترن اسمه برابعة أو بأحمد بن أبي الحواري، إنما كان المقصود بها رابعة بنت إسماعيل الشامية ، وليست رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية.
- إن عبدالوهاب الشعراني في طبقاته يميز بين ثلاث نساء تداخلت سيرتهن، وهنَّ: رابعة العدوية، ورابعة الشامية، وزوجة رباح القيسي العدوي الذي وردت روايات تقول أنه زوج رابعة العدوية البصرية لما عرف عن زوجته أنها عابدة كثيرة الصلاة ومنقطعة إلى الله تعالى ، وذلك في قوله:(ومنهن رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها، كانت رضي الله عنها كثيرة البكاء والحزن وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زماناً. وكانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول: مالي حاجة بالدنيا، وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها شن بال تكاد تسقط إذا مشت، وكان كفنها لم يزل موضوعاً أمامها، وكان بموضع سجودها وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها)(٤٧).

وقال أيضا: (ومنهن امرأة رباح القيسي رضي الله عنها، كانت رضي الله عنها تقوم الليل كله وكانت إذا مضى الربع تقول له قم يا رباح للصلاة فلا يقوم فتقوم، ثم تأتيه وتقول له قم يا رباح فلم يقم فتقوم الربع الآخر، ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح فلا يقوم فتقوم الربع الآخر إلى تمام الليل ثم تأتيه وتقول قم يا رباح قد مضى عسكر الليل وأنت نائم، فليت شعري من غرني بك يا رباح ما أنت إلا جبار عنيد. وكانت رضي الله عنها تأخذ تبنة من الأرض وتقول والله للدنيا أهون علي من هذه وكانت إذا صلت العشاء

تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها: ألك حاجة فإن قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت إلى الفجر رضي الله عنها)[٤٨].

وقال أيضا: (ومنهن رابعة بنت إسماعيل رضي الله عنها، كانت تقوم من أول الليل إلى آخره وكانت رضي الله عنها تقول: إذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوئ عمله فتشاغل بها دون خلقه وكانت تصوم الدهر وتقول ما مثلي يفطر في الدنيا، وكانت تقول لزوجها لست أحبك حب الأزواج وإنما أحبك حب الإخوان، وكانت تقول ما سمعت الأذان قط إلا ذكرت منادي يوم القيامة ولا رأيت الثلج قط إلا ذكرت تطاير الصحف، ولا رأيت حراً إلا ذكرت الحشر، وكانت رضي الله عنها تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن. ومناقبها كثيرة رضي الله عنها.)[٤٩]. وهو هنا يتكلم عن رابعة الشامية.

فرابعة العدوية البصرية، ورابعة أو رايعة الشامية كلاهما وردت روايات تذكرهما باسم (رابعة بنت اسماعيل) مما أدى إلى تداخل سيرتهما وبعض كلامهما شعرا ونثرا ، وصعوبة التمييز بينهما لتقارب عهديهما.

روايات زواجها:

تذكر رابعة العدوية القيسية البصرية في شعرها أنها انقطعت إلى عبادة الله تعالى واجتهدت في محبته تعالى حتى امتلأ قلبها وكيانها بحبه عز وجل، فما عاد مكان في قلبها لغيره تعالى، وما عاد شيء يلفت انتباهها غيره تعالى ، فهي قد توجهت بقلبها وعقلها لله تعالى، فصار كلها له سبحانه وتعالى، وهذا ما يشير إليه قولها[٥٠]

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وقولها أيضا[٥١]

أحبُّك حبين: حب الهوى وحبّا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهـــوى فشغلي بذكــرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهـــــل له فكشـــفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقد ذكر ممن ترجم لحياة رابعة العدوية البصرية أنها لم تتزوج وقد رفضت خطابها، وانقطعت بكلها إلى محبة ربها، على الرغم من أن خطابها كان لهم شأن ومكانة اجتماعية فضلا عما كان لبعضهم من مال وجاه، فممن خطبها:

- الحسن البصري (ت١١٠هـ) الذي (قال لرابعة: أترغبين في أن نتزوج ونعقد العقد. فقالت: يعقد عقد النكاح على موجود، وهنا قد انعدم الوجود، لأنني فنيت عن نفسي، وبقيت به، وأنا كلي ملكه، وتحت أمره)[٥٢].

هذا الخبر وكل أخبارها مع الحسن البصري، ممكن أن تصح وتقبل على فرض أن وفاتها سنة ١٣٥هـ، التي ذهب إليها ابن الملقن في طبقات الأولياء،[٥٣] وآغا بزرك الطهراني في الذريعة،[٥٤] وذكر ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) أن ابن الجوزي في كتابه (شذور العقود) ذكر أن وفاة رابعة العدوية كانت سنة (١٣٥هـ)،[٥٥] وهذا الفرض يجعل المروي من حكاياتها مع الآخرين يقبل، وقولها لرباح: تعال يا غلام. يكون مقبولا ومطابقا للواقع. وروى صاحب كتاب (الدر المنثور في صاحبات ربات الخدور) قائلا: (وكان الحسن البصري توفيت زوجته فأراد زوجة فقيل له عن رابعة العدوية فأرسل إليها يخطبها، فردته وقالت:

راحتي يا إخوتي في خلـــوتي وحبيبـــي دائمـــا في حضرتي
لم أجد لي عن هـــواه عوضا وهواه فـــي البـــرايا محـــنتي
حيثما كنت أشـــــاهد حسنه فهـــو محـــرابي إليـــــه قبلتي
إن أمت وجـــدا وما ثم رضا وإعنـــاني في الورى وا شقوتي
يا طبيب القلـــب يا كل المنى جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا ســـــروري يا حياتي دائما نشـــــأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي منك وصلا فهو أقصى منيتي)[٥٦]

- وخطب عبد الواحد بن زيد رابعة العدوية (فقالت: يا شهواني اطلب شهوانية مثلك، أي شيء رأيت فيَّ من آلة الشهوة؟)[٥٧].
- وخطب محمد بن سليمان أمير البصرة رابعة العدوية (على مائة ألف وقال لي: غلة عشرة آلاف في كل شهر أدفعها إليك، فكتبت إليه: ما يسرني أنك لي عبد وأنّ كل ما تملكه لي، وأنك شغلتني عن اللهّ طرفة عين)[٥٨].

نستنتج من ذلك أن رابعة العدوية البصرية لم تتزوج، والذي يؤيد ما ذهبنا إليه أنه ليس هناك نصوص تذكر أنها قد تزوجت، أما ما ذهب إليه كل من عبدالرحمن بدوي في كتابه (شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية)، وسعاد عبدالرزاق في كتابها (رابعة العدوية بين البكاء والغناء) ، ومأمون غريب في كتابه (رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي) من أنها تزوجت من رباح القيسي (ت١٩٥هـ) ،[٥٩] فهذا رأي قائم على الفرض الذي لا يدعمه دليل نقلي ، ولا يقود إليه استنتاج عقلي معتبر . بل أن الروايات التي جمعتها مع رباح القيسي تشير إلى أنه أصغر منها سنا حتى أنها نادته قائلة: تعال ياغلام. فضلا عن ذلك ليس هناك رواية تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى أن رباحا هذا قد تزوجها أوخطبها ، فضلا عن ذلك أن عبدالوهاب الشعراني فرق في طبقاته[٦٠] بين ثلاث نساء بين رابعة العدوية البصرية ، وزوجة رباح بن قيس ورابعة الشامية.

ومن النصوص السابقة تبين لنا أيضا أن رابعة العدوية رفضت الزواج كفكرة، وليس لعيب كان في المتقدمين لها؛ لأنها أرادت أن يكون قلبها عامرا بمحبة الله تعالى وحده لا شريك له؛ لذا وجدناها لا ترضى على رباح بن قيس عندما قبل صبيا قريبا له، قائلة له: (ما كنت أحسب أن في قلبك موضعا فارغا لمحبة غيره، تبارك اسمه)[٦١].

ومما تقدم يتضح أن التي اقترن ذكرها بذكر أحمد بن أبي الحواري الدمشقي (ت٢٣٠هـ) والمتزوجة منه إنما هي رابعة بنت إسماعيل الشامية المدفونة في الشام على جبل الطور من أرض القدس.

أما رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، فقد زهدت بالدنيا وملذاتها وانقطعت إلى العابدة، فاقترنت حياتها بشخصيات الزهد والتصوف في البصرة، كالحسن البصري، ومالك ابن دينار، وأيوب السختياني، وشقيق البلخي، وسفيان الثوري، وأنهم كانوا يزورونها وينهلون من حكمتها.

طهارة ثوبها

حاول الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه (شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية) أن يقارن ويقارب ويناظر بين حياة رابعة العدوية والقديسة تريزا الصوفية المسيحية.[٦٢]

القديسة تريزا الآبلية (١٥١٥ – ١٥٨٢م) الصوفية المسيحية التي عاشت حياتها بين التقوى والانحراف ثم العبادة والتقوى والورع ومكارم الأخلاق لتموت قديسة مضرب المثل في مكارم الأخلاق، ويتطبب بها ، ويستشفع بها .

وأراد عبدالرحمن بدوي لرابعة الصوفية المسلمة السابقة بعشرات السنين للقديسة تريزا الصوفية المسيحية أن تكون مثيلتها في سيرتها التعبدية ومراحل حياتها الثلاث سواء في الزهد والعبادة، أم في الانحلال الأخلاقي، أم في التنسك والتصوف .

معتمدا في ذلك على رواية ينقلها مفادها أن (نلقى رواية لم يذكرها غير العطار ، راوينا الوحيد عن تلك الفترة ، وهي تقول إن رابعة اتخذت مهنة العزف على الناي زمنا ما ، ثم تابت من بعد ذلك وأصلحت وابتنت لنفسها خلوة انقطعت فيها للعبادة)[٦٣] .

وهو في هذه الرواية يعتمد على نسخة نيكلسون التي نشرت سنة ١٩٠٧م . بينما الباحث لم يعثر على هذه الرواية في نسخة (تذكرة الأولياء – لفريد الدين العطار النيسابوري (ت٦٢٧هـ)) التي ترجمتها د. منال اليمني عبدالعزيز ، التي تعد نسخة مضبوطة ، وأقرب نسخة لعصر المؤلف ، والتي اعتمدت في ترجمتها لهذه النسخة (على نسخة نيكلسون ؛ لأن هذه النسخة تعد أفضل نسخ " تذكرة الأولياء " للأسباب الآتية :

١– إن رنولد آلن نيكلسون اطلع على ست مخطوطات في سبيل إعداده لهذه النسخة وهي: مخطوطات ليدن ، والمتحف البريطاني ، ومكتبة باريس الأهلية ، وكتالوج آيته ، ومخطوط حصل عليه عن طريق إدوارد إدوارد برون .ونسخة فهرس المخطوطات الفارسية بمكتبة برلين الملكية ، ونسخة لاهور المطبوعة طباعة حجرية .

٢ – إن هذه النسخة هي أقرب النسخ إلى المخطوط الذي حصلت عليه للكتاب والذي يرجع تاريخ نسخه إلى ٧٢٥ هـ)[٦٤] .

ثم يحمل هذه الرواية ما لا تحتمل، ويبني عليها فرضيات تسيء إلى رابعة العدوية ، وتلوث سيرتها الشخصية من دون دليل معتبر أو برهان يعتمد عليه ، إنما هي مجرد تكهنات وفرضيات وقياسات ما أنزل الله بها سلطان، فضلا عن أنه يذهب إلى مقارنتها بالقديسة تريزا المسيحية، فيقول: (نحن نفترض ما يلي : أن رابعة لما أعتقت بفضل الحرية التي وهبتها إلى المشاركة في حياة الدنيا ؛ ومثل هذه الفترة من حياتها مثل تلك الفترة التي أمضتها القديسة تريزا الآبلية منذ أن غادرت دير التجسد في آبلة إلى سنة ١٥٥٥ حين بدأت حياتها الثانية . فانطلقت رابعة تسعى لرزقها فلم تجد غير حرفة العزف على الناي والإطراب . وهذا يجعلنا نفترض أنها كانت على حظ من الجمال ،...، أنها كانت ذات مزاج فني ممتاز بحكم طبيعتها الروحية العالية ،...، والمشاهد عامة في حياة النسوة اللائي وهبن قدرا من سمو الروح أنهن يحترفن الفن إذا ما قضى عليهن بتلمس أسباب الرزق بوسائلهن الخاصة ، ويحتمل كذلك أنها إبان هذه الحياة الفنية بما تقتضيه من ملابسات قد اندفعت في طريق الشهوات إلى مدى بعيد. ،...، ويخيل إلينا أنها قطعت شوطا طويلا في طريق الإثم وغرقت في بحر الشهوات واقتاتت بقوت الحواس حتى الثمالة ، لأنها تابت من بعد ذلك . فهذه التوبة نفسها هي أصدق دليل لدينا على اندفاعها إلى أبعد حد في طريق الشهوة . فالأطراف في تماس كما يقولون ، والاعتدال لا يمكن مطلقا أن يؤدي إلى التحول الحاسم conversion فهذه الانقلابات الروحية الكبرى إنما تقع دائما نتيجة لعنف وإفراط ومبالغة في الطرف الأول المنقلب عنه،...، إن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين ، وأما التطرف فمن شيمة الممتازين الذين يبدعون

ويخلقون التاريخ. وما كان يمكن لرابعة أن تتطرف في إيمانها وحبها لله إلا إذا كانت قد تطرفت من قبل في فجورها وحبها للدنيا. من أعماق الشهوة العنيفة تنبثق الشرارة المقدسة للطهارة، ومن عمائق الإنكار والتجديف تنطلق الموجة التي تنشر الإيمان في الدنيا بأسرها. لهذا أدعو إلى التطرف المطلق كل من يريد أن يكون خالقا للقيم. أوغلت رابعة إذن في طريق الشهوة الجامحة ما وسعها الإيغال. ثم تابت)[٦٥].

وهذا النص المقتبس الطويل لعبدالرحمن بدوي يكشف عن محاولته أسقاط السيرة الشخصية للقديسة تريزا على السيرة الشخصية لرابعة العدوية وكأن حياة رابعة نسخة لحياة تريزا على الرغم من تقدم رابعة العدوية بمئات السنين على تيريزا.

ويُعد كتاب عبدالرحمن بدوي (شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية) المنشور عن مكتبة النهضة المصرية في طبعته الثانية سنة ١٩٦٢ م ، الذي وصفه عبدالمنعم الحفني ، بقوله : (وأسوأ ما قيل في رابعة هو كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي " رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي " ويجعل لها أصولا فارسية أو مسيحية ، ويجزم بأنها اشتغلت بغيا ثم تابت !! وليس هناك ما يعتمد عليه الدكتور بدوي فيما ادعى إلا الفروض والاحتمالات ، وفي الإسلام لايجوز البتة اتهام المؤمنة بالفسق وإشاعة الفحش عن المسلمات : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور : ٤])[٦٦] .

ثم ما كتبه الشاعر المصري طاهر أبو الوفا من قصائد في الدراما التلفزيونية (شهيدة العشق الالهي) والتي غنتها أم كلثوم ، ومن ثم جاء الفلم السينمائي المصري عن حياة رابعة العدوية الذي قامت بتمثيل شخصية رابعة العدوية ممثلة الإغراء الأولى في السينما المصرية نبيلة عبيد، وقد غنت فيه نبيلة عبيد أغاني أم كلثوم للشاعر طاهر أبو الوفا، وقد بنيت أحداث الفلم على هذه الفرضيات والاحتمالات ، فرسم الفلم صورة قبيحة لشخصية رابعة العدوية رسخت في أذهان المشاهدين من المسلمين وغيرهم على أنها فتاة لاهية عابثة انغمست في الخمر والغواية والإغراء والرذيلة والفحش من قمة رأسها إلى أخمص قدمها ، ومن ثم تابت .

وفي قول عبدالرحمن بدوي، وأشعار طاهر أبو الوفا، وفلم نبيلة عبيد فرية عظيمة وبهتان كبير على رابعة العدوية القيسية العابدة البصرية المحبة لله سبحانه وتعالى والمنقطعة إليه.

حيـــاتها:

مما تقدم يتبين لنا أن المتصوفة البصرية هي: أم الخير رابعة بتن إسماعيل العدوية القيسية البصرية من بني عدوة مولاة آل عتيك القيسية التي ولدت في البصرة قبل ٥٠هـ بنيف أو بعده بنيف، لعائلة حرة مؤمنة فقيرة ، تكاد لا تجد قوت يومها ، ولكنها غنية بتقواها، وورعها، وإيمانها بالله تعالى، وحسن ظنهم وتوكلهم على الله تعالى ، وبإن العزة لله وللمؤمنين، وقد عرف رب الأسرة بتعففه على الرغم من فقره وعوزه . ولها من الأخوات ثلاث ، وهي رابعتهن ؛ ولهذا سميت رابعة .

نشأت رابعة العدوية في كنف أبيها الذي عرف بإيمانه وتقواه وورعه كسائر كثير من رجال قبيلته بني عدوة ونسائها الذين عرفوا بالتصوف ، فترعرعت على التقوى والورع ومحبة الله تعالى والإخلاص له سبحانه وتعالى. وفي صباها توفي والدها ، وبقيت تعيش بين أهل قبيلتها في البصرة. ولما كبرت وهي في طريق سلوكها إلى الله تعالى طلبت الخلوة مع الحبيب كعادة أهل الله فذهبت إلى خربة اتخذتها بيتا لها تختلي فيه للعبادة ، ومحرابا للصلاة تناجي فيه حبيبها وباريها سبحانه وتعالى . وبقيت رابعة بين محراب الصلاة ، ومجالس الذكر ، وحج بيت الله الحرام ، ومداولة أخوتها من أهل الزهد والعبادة والسير في طريق محبة الله تعالى ، إلى أن وافاها الأجل في البصرة التي دفنت فيها. .

عبادتها وسيرها في طريق الله

ورد في كتب التصوف مصطلحان يعبران عن عبادة السالك وما يعتريها من تغيرات في طريق سلوكه إلى الله تعالى ، وهما: مصطلح الحال ، ومصطلح المقام ، وهم يريدون بالحال

ما (يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ، ولا اكتساب ،...، فالأحوال مواهب)[٦٧]، فهي كما تحل بالقلب تزول بعد وقت قليل ، فهي متغيرة، وأنشدوا [٦٨]

لو لم تحـــل ما سميت حالا وكل ما حـــــال فقد زالا

انظر إلى الفيء إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا

ويريدون بالمقام (ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ،...، فمقام كل أحد هو موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له)[٦٩] فالمقام هو الاقامة في تلك المرتبة العبادية التي كسبها بسبب عبادته ولا يغادرها إلا بعد استيفاء مراتبها وانتقاله إلى مقام أرقى.[٧٠]

وذكروا للسالك مقامات يمر بها في سلوكه إلى الله، وعليه أن يكسبها ويتحقق بها ويتخلق بها ومن ثم ينتقل منها إلى غيرها إلى أن يصل إلى مقام الفناء في الذات الأحدية، وهذه المقامات كثيرة ذكرتها المؤلفات المختصة بالتصوف والعرفان.

- **الزهد في الدنيا والحياء من الله**

إن رابعة زهدت بالدنيا وملذاتها فليس لها زوج أو ولد، وعاشت عيشة الكفاف في كوخ صغير لايقيها شيئا من برد الشتاء وزمهريره وأمطاره، ولا حر الصيف وسمومه. وكان فيه من الأثاث حصير تصلي عليه ، وتنام عليه ، وخرقة خضراء من صوف تلتحف بها في الشتاء ، وإناء من فخار (حب) تضع فيه الماء ، وتشرب منه .

وهذه جملة من الروايات التي تشير إلى أنها كانت تعيش الكفاف ، وأنها لم تسع في طلب المال ، واكتفت من الدنيا بقطمير يسترها ، وقرص تسد به جوعها وماء تطفئ به عطشها ، فروى حمّاد بن زيد أن أحدهم قال لها: اذكري لي حوائجك حتى أقضيها ، أو أن أذهب إلى جارك لآتيك منه بما تستعينين به على أمور دنياك، فكان جوابها له: (إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها)[٧١].

وقال مسمع بن عاصم ورياح القيسي: (شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين دينارا فقال لها تستعينين بها على بعض حوائجك فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء قالت هو يعلم أني استحي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها)[٧٢].

فضلا عن أن هذا النص يكشف عن زهدها في الدنيا وزينتها ، فهو يكشف عن ادراكها للتوحيد الفعلي الذي تتعبد به عمليا في حياتها اليومية. أي أن الله تعالى هو مالك الملك، والكل محتاج إليه، فهو الرزاق الكريم يرزق من يشاء بغير حساب ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة/٢١٢] ، وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/٣٧] .

وقال عبد الله بن عيسى: (دخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري خلق فتكلم رجل عندها بشيء فجعلت أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا)[٧٣].

وقال محمد بن عمرو: (دخلت على رابعة وكانت عجوزا كبيرة بنت ثمانين سنه كأنها الشن تكاد تسقط ورأيت فى بيتها كراخة بواري ومشجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين وستر البيت جلد وربما كان بوريا وحب وكوز ولبد هو فراشها وهو مصلاها وكان لها مشجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة)[٧٤].

فالبَارِيَّةُ والبُورِيّ هي الحصير المعمول من القصب ويقال فيها بارِيَّةٌ وبُورِياء.[٧٥]

وروي أنه خطبها عبد الواحد بن زيد (ت١٧٧هـ) فقالت: (يا شهواني اطلب شهوانية مثلك، أي شيء رأيت فيَّ من آلة الشهوة ؟)[٧٦]. وروي أن محمد بن سليمان الهاشمي خطب رابعة العدوية ، وقد (كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب إليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبيني فكتبت إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال

أوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين)[٧٧].

وهذا دليل نقلي على أنها لم تتزوج ، بل أنها أرادت الانقطاع إلى معشوقها الإلهي ، وان لايصرفها عنه لا زوج ولا مال ولا بنون.

قال صالح العتكي المري (ت١٧٢هـ) : (استأذن ناس على رابعة ومعهم سفيان الثوري ، فتذاكروا عندها ساعة ، وذكروا شيئا من الدنيا ، فلما قاموا قالت لخادمتها : إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه ، فلا تأذني لهم ، فإني رأيتهم يحبون الدنيا)[٧٨].

وقيل : (دخل على رابعة رياح القسي وصالح بن عبد الجليل وكلاب فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم قالوا ومن أين توهمت علينا قالت إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه)[٧٩].

فهاتان الروايتان تشيران إلى انصرافها عن الدنيا ، وعزوفها عن ملذاتها ، وعن الحديث عما فيها ، فهي لا تريد من يذكرها بالدنيا وزينتها ، بل تريد الذي يذكرها بالله الواحد الأحد حبيبها الذي تطلبه ولا تريد سواه.

- **تهجـــدها:**

يصف عبيس بن مرحوم العطار (٢١٩هـ) عبادة رابعة العدوية في حديث سمعه من عبدة بنت أبي شوال التي كانت تخدم رابعة تقول فيه : إنه (كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت اسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور قالت فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت)[٨٠].

- **الرضـــا:**

وهو أن يرضى المريد لله تعالى بكل ما قضى الله تعالى عليه وقدر، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة/١١٩].

سئلت رابعة العدوية: (متى يكون العبد راضياً؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرَّته النعمة)[٨١]. فمتى ما وصل العبد إلى هذه المرحلة من التسليم للمعبود شعر برضى الله تعالى عنه، وعندها لايداخله الحزن مما يصيبه. قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة/١٥٥-١٥٧].

الحزن

إن المريد أو السالك بعد يقظته من الغفلة عن طاعة الله تعالى وتقصيره في جنب الله تعالى يشعر بالحزن والأسى على ضياع أيام من عمره بعيدا عن عبادة الله.[٨٢]

يروى أن رابعة العدوية سمعت سفيان الثوري (ت١٦١هـ) يقول: (واحزناه! فقالت: قل: وا قلة حزناه، لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس)[٨٣] ؛ لأن العاشق عندما يداخله الحزن لأمر قد يبعده عن معشوقه فإنه يموت من حزنه وكمده.

- **الصمت**

آثر أرباب المجاهدة والسلوك السكوت على الكلام لعلمهم ما في الكلام من آفات كالكذب والغيبة والنميمة وغيرها، ولعلمهم ما في السكوت من حفظ للنفس. ولكن هناك مواطن يكون فيها السكوت قبيحا كالسكوت عن الحق، فأعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

وأنشد أحد المتصوفة قائلا[٨٤]

رأيـــت الكـــلام يزين الفتى والصمت خير لمن قد صمت

فكم من حروف تجر الحتوف ومن ناطق ود أن لو ســكت

فالصمت ممدوح عند أهل الحكمة. يروى أن رابعة قالت: (إذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث وإذا لم تشته أن تحدث فحدث، وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى قبله تقول للثوري رضي اللّه عنه: نعم الرجل سفيان لولا أنه يحب الحديث، وكانت تقول: فتنة الحديث

أشد من فتنة المال والولد وقالت مرة لولا أنه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس حوله للحديث)[٨٥].

- **الذكر**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[الأحزاب/٤١]

(والذكر على ضربين: ذكر اللسان، وذكر القلب. فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب. والتأثير لذكر القلب؛ فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه، فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه)[٨٦].

وروى العباس بن الوليد بن بكار البصري (ت٢٢٢هـ) – (وهو ابن ثلاث وتسعين سنة)[٨٧] – أن رابعة العدوية قالت : (استغفر الله من قلة صدقي في قولي استغفر الله)[٨٨].

ويروى أنها قالت أيضا: (استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير)[٨٩].

ثم يشرع الغزالي في بيان معنى كلامها، قائلا : (قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم)[٩٠] .

وقال الآلوسي في بيان معنى قولها أيضا: (قالت رابعة: {فاستغفروا} أي طلبوا المغفرة منه تعالى {لِذُنُوبِهِمْ} كيفما كانت ومفعول {فاستغفروا} محذوف لفهم المعنى أي استغفروه، وليس المراد مجرد طلب المغفرة بل مع التوبة وإلا فطلب المغفرة مع الإصرار كالاستهزاء بالرب جل شأنه، ومن هنا قالت رابعة العدوية: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار)[٩١].

- **الخوف**

هناك ثلاث مفردات تتعلق معانيها بالمقام، وهي: الخوف، والخشية، والهيبة.

فالخوف هو الخوف من الله تعالى وهو أن يخاف العبد منه تعالى أن يعاقبه في الدنيا أو الآخرة على تقصيره في جنبه سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل

عمران/١٧٥] فالمؤمن هو الذي يكون أله تعالى ماثلا أمامه، ويراعي رضى الله تعالى في جميع أموره النظرية والعملية، فإذا ارتكب خطأ، فلا يعلل نفسه بـ (عسى، وسوف) وإنما يسارع إلى التوبة وطلب المغفرة، وهو يدرك تماما أن لا مهرب ومنجى من الله إلا إليه. والخشية شرطها العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر/٢٨]، والهيبة شرطها معرفة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران/٢٨]. [٩٢]

فعبادة الله سبحانه مقرونة بالعلم، وعلى المريد والسالك أن يتسلح بالمعرفة الدينية على المستوى العقائدي وعلى المستوى الفقهي قال الامام علي عليه السلام: (أول الدين معرفته. وكمال معرفته التصديق به. وكمال التصديق به توحيده. وكمال توحيده الاخلاص له)[٩٣].

وهكذا ظهرت شخصية رابعة العدوية حكيمة عالمة كثيرة البكاء من خشية الله والبكاء شوقا إلى لقياه ونيل رضاه. قال عبد الله بن عيسى: (دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت)[٩٤].

وقال أيضا : كثيرا ما أدخل عليها فأسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف)[٩٥].

وقال جعفر بن سليمان (ت١٧٤هـ) أو (ت١٧٨هـ): (أخذ بيدي سفيان الثوري وقال مر بنا الى المؤدبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها ، فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده ، وقال اللهم إني أسألك السلامة ، فبكت رابعة، فقال لها: ما يبكيك. قالت: أنت عرضتني للبكاء. فقال: وكيف. قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها ، فكيف وأنت متلطخ بها)[٩٦].

وقالت رابعة العدوية تصف حالات الحزن والخوف التي تداخلها وتنفس عنها بالبكاء[٩٧]

أ للزاد أبكي؟ أم لطول مسافتي؟ وزادي قليـــل ما أراه مبلغي
أتحـرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك؟ أين محبتي؟

- **الخلوة**

لا بد للمريد في ابتداء سيره وسلوكه إلى الله تعالى من العزلة عن أبناء جنسه، ومن ثم ينتهي إلى الخلوة التي يأنس بها؛ لأن بها الاختلاء بالحبيب والتلذذ بمناجاته.[٩٨]

قالت رابعة العدوية[٩٩]

راحتي يا إخوتي في خلــوتي	وحبيبــي دائــما في حضرتي
لم أجد لي عن هــواه عوضا	وهـــــواه في البــرايا محنتي
حيثما كنــت أشـــاهد حسنه	فهو محـــرابي إليـــه قــبلتي
إن أمـــت وجدا وما ثم رضا	وأعناني في الــورى وا شقوتي
يا طبيــب القلب يا كل المنى	جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا ســـــروري يا حياتي دائما	نشــأتي منـــك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي	منك وصلا فهو أقصى منيتي

- **الحب الالهي**

إن العبد ليخلص إلى الله تعالى ويختص به فيخلصه من التعلق بالدنيا وزينتها. قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة/٥٤] فالمحبة هي: (الابتهاج بشهود الحق، وتعلق القلب به معرضا عن الخلق معتكفا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى سواه)[١٠٠].

وكانت رابعة العدوية ممن عزف عن الدنيا وملاذها وانقطعت إلى الله تعالى فأخلصت له في العبادة والطاعة والمحبة فكانت تراه في كل شيء ولا ترى شيئا خاليا منه، فقالت: (ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكن حبا لذاتك)[١٠١].

وقال لها سفيان الثوري (ت١٦١هـ) يوماً: (لكل عبد شريطة، ولكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقالت: ما عبدت اللّه خوفاً من اللّه، فأكون كأمة السوء إن خافت عملت، ولا حبًّا للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكني عبدته حبًّا له وشوقاً إليه)[١٠٢].

ومن قولها تبين حبها لله تعالى ، وعزوفها عما سواه تعالى[١٠٣]

أحبُّك حبين: حـــب الهوى وحـــبًّا لأنـــك أهـل لذاكا
فأما الذي هو حـب الهـوى فشغلي بذكرك عمن سـواكا
وأما الـذي أنـــت أهـل له فكشفك للحجـب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقالت أيضا[١٠٤]

إني جعلتك في الفؤاد محدّثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيـــب قلبي في الفؤاد أنيسي

- **الفناء في الله والبقاء به**

إن مقام الفناء في الله تعالى والبقاء به يمثل مرحلة متقدمة في السلوك إلى الله تعالى، فإن الفاني إنما يفنى عن نفسه وعن الخلق، وإن كانا موجودين، ولكنه غافل عنهما فلا يحس بهما، وهناك مثال يقرب الصورة إلى ذهن المتلقي، وهو ما حصل لنساء مصر عندما رأين جمال يوسف عليه السلام فقطعن أيديهن وهن غير متلفتات لما فعلن، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف/٣١] وهذا تغافل عن النفس والخلق عند رؤيتي جمال مخلوق ، فكيف يكون تغافل العبد عندما يشهد بقلبه جمال الحق تعالى.[١٠٥] فلاشك ولاريب أنه سيفنى في الحق عما سوى الحق تعالى، وأن الفاني سيعلم أن الحق هو عين الوجود من حيث هو وجود فيكون ما عداه سبحانه عدم مطلق من حيث أن لا قوام ولا وجود له إلا بالموجد سبحانه وتعالى ، فلا يبقى لغير الحق رسم ولا موجود إلا هو وحده.[١٠٦]

ويتضح هذا المقام لرابعة العدوية من حوار جرى بينها وبين الحسن البصري (ت١١٠هـ) الذي (قال لرابعة: أترغبين في أن نتزوج ونعقد العقد. فقالت: يعقد عقد النكاح على موجود، وهنا قد انعدم الوجود، لأنني فنيت عن نفسي، وبقيت به، وأنا كلي ملكه، وتحت أمره)[١٠٧].

وقالت أيضا وهي ترد خطبته وتتغنى بمحبة الحق سبحانه:

لم أجد لي عن هواه عوضا ... وهواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أشـــاهد حسنه ... فهو محرابي إليه قبلتي

كراماتــها:

قال رباح القيسي (ت١٩٥هـ) : (كنت اختلفت أنا وشميط إلى ورابعة ، فقالت مرة : تعال ياغلام ، وأخذت بيدي ، ودعت الله ، فإذا جرة خضراء مملوءة عسلا أبيض ، فقالت: كل ، فهذا والله لم تحوه بطون النحل . ففزعت من ذلك، وقمنا، وتركناه)[١٠٨].

وفي رواية ينقلها صاحب تاريخ بغداد ، أن رابعة العدوية قالت : (اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل فمكثت أياما أقرأ جزأين إذا ارتفع النهار لما يذكر أنه يعد بقيام الليل ثم رزقني الله العافية ،...، فبينا أنا ذات ليلة راقدة إذ رأيت في منامي كأني قد دفعت إلى روضة خضراء ذات قصور وبيت حسن فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها إذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه فشغلني حسنها عن حسنه فقلت لها دعيه ما تريدين منه فوالله ما رأيت طائرا قط هو أحسن منه فقالت : فهلا أريك شيئا هو أحسن منه قلت بلى فأخذت بيدي فأدارتني في تلك الرياض حتى انتهيت إلى باب قصر فاستفتحت ففتح لها باب مخرق إلى بستان قالت فدخلت ثم قالت افتحوا لي باب المقة ففتح لنا باب شاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدي وما خلفي فدخلت ثم قالت ادخلي فدخلت فتلقانا فيه وصفاء بأيديهم المجامر فقالت لهم أين تريدون قالوا نريد فلانا قتل في البحر شهيدا نجمره فقالت لهم أفلا تجمرون هذه المرأة فقالوا قد كان لها في ذاك حظ فتركته فأرسلت يدها من يدي ثم أقبلت علي بوجهها وقالت: صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد للصلاة عميد وعمرك غنم إن عقلت ومهلة يسير ويفنى دائم ويبيد)[١٠٩].

وقال أبو طالب المكي: حدثونا عن رابعة العدوية رحمها اللّه تعالى أنها قالت: (سبحت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت فرأيت شجرة خضرة نضرة لا توصف عظماً وحسناً وإذا عليها ثلاثة أنواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا كثدي الأبكار ثمرة بيضاء وثمرة حمراء

وثمرة صفراء، فهن يلمعن كالأقمار والشموس في خلال خضرة الشجر قالت: فاستحسنتها فقلت: لمن هذه؟ فقال لي قائل: هذه لك بتسبيحاتك آنفاً، قالت: فجعلت أطوف حولها فإذا تحتها ثمرة منتشرة على الأرض في لون الذهب فقلت: لو كانت هذه الثمرة مع هذه الثمار على هذه الشجرة لكان أحسن فقال لي الشخص: كانت هناك إلا أنك حين سبحت تفكرت هل اختمر العجين أم لا فانتثرت هذه الثمرة فهذه عبرة لأولي الأبصار ومواعظ لأهل التقوى والأذكار)[١١٠].

تروي عبدة بنت أبي شوال خادمة رابعة العدوية ما كان من خبر وفاة رابعة ، بقولها : (فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت يا عبدة لا تؤذني بموتي أحدا وكفنيني في جبتي هذه جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون قالت فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه . قالت عبدة رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه فقلت يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف قالت إنه والله نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترينه علي وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة قالت قلت فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل قالت عليك بكثرة ذكره أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك)[١١١] .

تاريـــخ وفـــاتها:

اضطرب المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة رابعة العدوية البصرية، فذكروا ثلاثة تواريخ لوفاتها، وهي كالآتي:

- ذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه (صفة الصفوة) أن وفاة رابعة العدوية البصرية سنة (١٣٥هـ)[١١٢].
- وذهب ابن الملقن في طبقاته إلى هذا التاريخ في وفاة رابعة، وأضاف إليه تاريخين هما : سنة (١٨٠هـ) ، و(١٨٥هـ). [١١٣]
- وذكر الذهبي أنها عاشت ثمانين سنة، وأنها توفيت سنة ١٨٠ هـ.[١١٤]

وهذا الخبر يشكل على دقته فيما رواه ابن الجوزي في كتابه (صفة الصفوة) قائلا: إن (محمد بن عمرو قال دخلت على رابعة وكانت عجوزا كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن تكاد تسقط)[١١٥] ولا أرى إلا أن الذهبي أخذ عبارة ابن الجوزي هذه وجانب الدقة في روايتها، فقال: عاشت ثمانين سنة. بينما العبارة المنقولة من ابن الجوزي تدل على أن عمر رابعة في تلك اللحظة كان أكثر من ثمانين سنة (بنت ثمانين)، وعلى هذا ربما عاشت أكثر من الثمانين إلى التسعين أو أكثر، ويبقى هذا الاحتمال واردا إذا لم يوجد دليل ينفيه؛ لأن المؤرخين لم يحددوا سنة ولادتها، ولم يقل أحدهم أنها توفيت وكان عمرها ثمانين سنة.

وأخذ مأمون غريب برواية الذهبي هذه، فبنى عليها استنتاجه في ولادة رابعة، فقال: إنها ولدت سنة (٩٥هـ)[١١٦] ، وقال مرة أخرى: إنها ولدت سنة (١٠٥هـ)[١١٧] ، ويظهر لنا هنا اضطرابه في القطع بتاريخ محدد لولادتها.

وإن تاريخ الوفاة المذكور في سنة ١٨٠ هـ، أو ١٨٥هـ خاص برابعة بنت إسماعيل الشامية التي دفنت في القدس على جبل الطور؛ وأنها أسن من زوجها أحمد بن أبي الحواري الذي كانت تجهزه وتطيبه وترسل به إلى زوجاته الأخريات، وتقول له: إنما تزوجته لأنها امرأة غنية، قد ورثت أموالا من زوجها، وهو شاب مؤمن من المتصوفة أرادت له أن يتمتع بهذه الأموال.

ولقول القائلين أنها (عاشت ثمانين سنة)[١١٨] ، وعلى وفق رواية ابن الجوزي (بنت ثمانين)[١١٩] ؛ لذا نرجح أن يكون تاريخ وفاتها سنة (١٣٥هـ) ؛ وتاريخ مولدها (٥٠هـ) أو قبله بقليل أو بعده بقليل.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد النظر في المصادر والمراجع التي تحدثت عن رابعة العدوية وعن التصوف بشكل عام وعن متصوفة البصرة بشكل خاص تبين لنا الآتي:

- إن متصوفة البصرة موضوع البحث هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية من آل عتيك من قيس.
- ولدت ونشأت وترعرعت في البصرة في بني عدوة الذين عرف رجالهم ونسائهم بالتقوى والصلاح وإنهم من المتصوفة. وهي الابنة الرابعة لأسرة مؤمنة تقية ورعة، عرف أبوها بالعبادة وعزة النفس والعفاف على الرغم من فقره وعوزه.
- إن رابعة كانت محل تقدير أهل البصرة واحترامهم ، وهي سراج عبادة ومعرفة إلهية اقتبس من نوره المريدون والسالكون في طريق العشق الالهي ، ومن هؤلاء جملة ممن اشتهر بالعبادة والتصوف ، كالحسن البصري ، ومالك بن دينار ، وأيوب السختياني ، وشقيق البلخي ، وعبدالواحد بن زيد ، وسفيان الثوري ، ورباح بن عمرو القيسي .
- إن رابعة العدوية لم تتزوج من أحد على الرغم من كثرة خطابها ، كالحسن البصري ، وعبدالواحد بن زيد ، وأمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي .
- إن ما قيل عن زواج رابعة العدوية البصرية من رباح أو رياح القيسي، لا يخرج عن كونه فرضية لعبدالرحمن بدوي شايعته عليها سعاد عبدالرزاق ، ومأمون غريب. وقد أكد عبدالوهاب الشعراني في طبقاته على أن زوجة رباح القيسي هي امرأة عابدة زاهدة من متصوفات البصرة ، ولكنها ليست رابعة العدوية البصرية.
- إن رابعة العدوية عاشت عذراء بكر عفيفة شريفة من التهم التي سددها إلى عفتها وشرفها عبدالرحمن بدوي، والدراما الشعرية التي كتبها طاهر أبو الوفا وغنتها أم كلثوم، والفيلم السينمائي المصري الذي كان من بطولة نبيلة عبيد.
- إن هناك رابعتين ، قد تداخلت أخبارهما ، هما رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، ورابعة بنت إسماعيل الشامية التي هي زوجة أحمد بن أبي الحواري (ت٢٣٠هـ) ، فكل ما اتصل من أخبار أو روايات مع ابن أبي الحواري فهو يخص رابعة الشامية .
- إن رابعة البصرية ولدت وعاشت في البصرة ، وتوفيت سنة ١٣٥ هـ ، ودفنت في البصرة. وأرجح ولادتها قبل خمسين للهجرة أو بعده بقليل.

أما رابعة أو رابعة الشامية فإنها توفيت سنة ١٨٠ أو ١٨٥ هـ ، وهي المدفونة في شرق القدس على طور جبل زيتا ، وما قيل عن وفاتها سنة ٢٣٥ هـ ، فإنه تصحيف مع وفاة رابعة العدوية البصرية المتوفية سنة ١٣٥هـ ، وما قيل عن خبر وفاة رابعة العدوية سنة ١٨٠ أو ١٨٥ هـ ، إنما هو من تدخل الأخبار والتباسها بين رابعة البصرية والشامية.

الهوامش:

١) ينظر :الاحاد والمثاني– لابن أبي عاصم:١/١٩٠.وجامع الأحاديث–للسيوطي: ٣٠/٣٥٨.
٢) ينظر: البيان والتبيين – للجاحظ : ١/١٩١.
٣) التعرف لمذهب أهل التصوف – الكلاباذي: ٢١ .
٤) المصدر نفسه: ٢١ .
٥) المصدر نفسه: ٢١ .
٦) المصدر نفسه: ٢١ .
٧) المصدر نفسه: ٢٥ .
٨) الرسالة القشيرية – عبدالكريم القشيري: ١ / ٤٤٠ .
٩) مجموع الفتاوى : ١١ / ٦ – ٧ .
١٠) المصدر نفسه : ٢٥ .
١١) قوت القلوب : ١/١٦٩ .
١٢) تاريخ ابن خلدون: ١ / ٤٦٧ – ٤٦٨ .
١٣) مجموع الفتاوى: ١١ / ٧ .
١٤) ينظر : رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي – مأمون غريب : ٦٠ – ٦٧ .
١٥) شرح أصول الكافي – للكليني – مولى محمد المازندراني: ٢/١.
١٦) ينظر : الأعلام – الزركلي ٢ / ٢٢٦ . الموسوعة الصوفية – د . عبدالمنعم الحفني : ١٥٦ .
١٧) ينظر :الذريعة– آغا بزرك الطهراني:٩/٣٤٥.وتذكرة الأولياء:١/ ٥٩ . ونفحات الأنس: ٥٥٢ .
١٨) ينظر : المعجم الصوفي: ١٠ / ١٢٥ .
١٩) ينظر : الأعلام: ٥ / ٢٦٠ . تاريخ التصوف الإسلامي – عبدالرحمن بدوي : ٩٣ .

٢٠) ينظر : المعجم الصوفي ١٠ / ١٢٥ .
٢١) ينظر : تاريخ التصوف الإسلامي: ١٨٨ .
٢٢) ينظر :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:١/٤٣.و تاريخ الإسلام – الذهبي : ١ / ١٣١٣ .
٢٣) ينظر : الأعلام: ٣ / ١٦٤ .
٢٤) ينظر: معجم البلدان– ياقوت الحموي(ت ٦٨١ هـ):٢/ ٣٨٦ – ٣٩١ . و الأعلام: ٣ / ١٠٤ .
٢٥) ينظر : وفيات الأعيان – ابن خلكان : ٢ / ٤٩٤ – ٤٩٥ . و سير أعلام النبلاء – الذهبي : ٨ / ٤٣ – ٤٨ . و تهذيب الكمال – المزي ٣ / ٣١ . و لسان الميزان – ابن حجر ٥ / ٢٦١ .
٢٦) ينظر : طبقات ابن الخياط : ١ / ٢٢٤ . ومختصر تاريخ دمشق ١ / ٧٧٦ .
٢٧) ينظر : طبقات ابن الخياط : ١ / ٢٢٤ . تاريخ التصوف الإسلامي:١٨٨ .
٢٨) ينظر : الأعلام: ١ / ٢٨٢ .
٢٩) ينظر : المرجع نفسه: ٣ / ١٧١ .
٣٠) ينظر : وفيات الأعيان – ابن حلكان : ٢ / ٤٧٥ – ٤٧٦ . و المعجم الصوفي: ١٠ / ١٢٥ . والأعلام: ٣ / ١٧١ .
٣١) ينظر : الأعلام: ٥ / ٢٦٠ .
٣٢) ينظر : التاريخ الكبير – البخاري ٣ / ٣٢٨ . والثقات – ابن حبان ٦ / ٣٠٩ . و تاريخ بغداد – البغدادي ١٢ / ١٥٠ . و حلية الأولياء – أبو نعيم الأصبهاني: ٣ / ٤٧ – ٤٩. و سير أعلام النبلاء – الذهبي: ٨ / ١٧٤ . و كمال الدين: ٧ / ٣٠٤ .
٣٣) سير أعلام النبلاء – الذهبي ٨ / ١٧٤ .
٣٤) ينظر : سير أعلام النبلاء – الذهبي ٨ / ٢٤١ – ٢٤٣ . وينظر : الكامل في التاريخ – ابن الأثير ٥ / ٥٦٥ ، وتاريخ الطبري: ٧ / ٦٢٢ ، وتاريخ الإسلام – الذهبي ٦ / ٢٢ ، ودول الإسلام – الذهبي ١ / ٩٧ ، والإحياء – الغزالي ٢ / ٢٦٧ ، و فيات الأعيان: ٣/ ٢١٥ ، و الرسالة القشيرية : ٨٦ ، وقوت القلوب – المكي ١ / ١٠٣ ، ١٥٦ ، و التعرف لأهل التصوف : ٧٣ ، ونفحات الأنس : ٧١٦ ، و الطبقات الكبرى – الشعراني : ٥٦ ، و الكوكب الدري للمناوي: ٩٦ ، ١٠٨ ، و شذرات الذهب ١ / ١٩٣ . وتذكرة الأولياء – العطار ١ / ٥٩ ، والدر النثور : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، النجوم الزاهرة ١ / ٣٣٠ ، وشرح مقامات – الشريشي ٢ / ٢٣١ . في ابن

خلكان نقلا عن ابن الجوزي أن وفاتها ١٣٥ ، وقال غيره ١٨٥ ، وأوردها في النجوم الزاهرة فيمن توفي في سنة ١٣٥ ، و١٨٠ . صفة الصفوة – ابن الجوزي ٤ / ٣٠٠ ، طبقات الأولياء : ٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١١٠ .

٣٥) ينظر : وفيات الأعيان – ابن خلكان (ت٦٨١ هـ) : ٢ / ٣٩١ – ٣٩٣ .

٣٦)ينظر :الرسالة القشيرية–القشيري١/٦٨.طبقات الصوفية–أبي عبدالرحمن السلمي(ت٤١٢ هـ):٧٥.

٣٧) ينظر : الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٨٠ . و الأعلام ٣ / ١٠٥ و طبقات الصوفية – السلمي : ٩٨ – ٩٩ .

٣٨) ينظر: طبقات الصوفية: ٦٧/١ ، وسير أعلام النبلاء: ٣٣٠/١٣ .

٣٩) البيان والتبيين : ٢٣٢/١ ، ١٢٢/٣ . الحيوان : ١ / ٧٨ .

٤٠) البيان والتبيين : ٨٥/٣ .

٤١) وفيات الأعيان: ٢٨٥/٢.

٤٢) سير أعلام النبلاء: ٢٤١/٨.

٤٣) الوافي بالوفيات: ٤٣٥/٤.

٤٤) ينظر: قوت القلوب: ٢٢١/٢. وإحياء علوم الدين: ٥٨/٢. ومعجم البلدان: ٥ / ١٧٢. وصفة الصفوة: ١٥/٢. وسير أعلام النبلاء: ٢٤١/٨ – ٢٤٣.

٤٥) معجم البلدان: ٨ / ٣٠٠ .

٤٦) ينظر : إحياء علوم الدين : ٢ / ٥٨ . ومعجم البلدان: ٨/ ٣٠٠ . وسير أعلام النبلاء: ٨ / ٢٤٣ . وطبقات الأولياء: ٥ – ٦ .

٤٧) الطبقات الكبرى – عبدالوهاب الشعراني : ١ / ٦٣ .

٤٨) المصدر نفسه: ١ / ٦٣ .

٤٩) الطبقات الكبرى – عبدالوهاب الشعراني: ١ / ٦٣ .

٥٠) ينظر : سير أعلام النبلاء – الذهبي ٨ / ٢٤١ – ٢٤٣ . و الكامل في التاريخ – ابن الأثير ٥/ ٥٦٥ ، وتاريخ الطبري ٧ / ٦٢٢ ، وتاريخ الإسلام – الذهبي ٦ / ٢٢ ، ودول الإسلام – الذهبي ١ / ٩٧ ، والإحياء – الغزالي ٢ / ٢٦٧ ، وفيات الأعيان – ابن خلكان ٣ / ٢١٥ ، و الرسالة القشيرية : ٨٦ ، وقوت القلوب – المكي ١ / ١٠٣ ، ١٥٦ ، و التعرف لأهل التصوف

– الكلاباذي : ٧٣ ، ونفحات الأنس : ٧١٦ ، و الطبقات الكبرى – الشعراني : ٥٦ ، و الكوكب الدري للمناوي : ٩٦ ، ١٠٨ ، و شذرات الذهب ١ / ١٩٣ . وتذكرة الأولياء – العطار ١ / ٥٩، والدر النثور : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، النجوم الزاهرة ١ / ٣٣٠ ، وشرح مقامات – الشريشي ٢ / ٢٣١ . في ابن خلكان نقلا عن ابن الجوزي أن وفاتها ١٣٥ ، وقال غيره ١٨٥ ، وأوردها في النجوم الزاهرة فيمن توفي في سنة ١٣٥ ، و١٨٠ . صفوة الصفوة – ابن الجوزي ٤ / ٣٠٠ ، طبقات الأولياء : ٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١١٠ .

٥١) ينظر : قوت القلوب:١ / ٤٥٦ . والفتوحات المكية – ابن عربي ٢ / ٣٨٥ – ٣٥٩ .

٥٢) تذكرة الأولياء– فريد الدين العطار النيسابوري (٦١٨ هـ)– ترجمة د. منال اليمني عبدالعزيز:٢٦٧/١ .

٥٣) ينظر : طبقات الأولياء – الملقن : ١٩٦ .

٥٤) ينظر : الذريعة – آغا بزرك الطهراني ٩ / ٣٤٥ .

٥٥) ينظر : وفيات الأعيان – ابن خلكان ٣ / ٢١٥ .

٥٦) الدر المنثور في ربات الخدور : ١ / ٣٦٦ – ٣٦٧ .

٥٧) قوت القلوب ١ / ٤٥٦ .

٥٨) ينظر : قوت القلوب ١ / ٤٥٦ .

٥٩) ينظر : شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية : ١٨ . ورابعة العدوية في محراب الحب الإلهي – مأمون غريب : ٤٥ .

٦٠) ينظر : الطبقات الكبرى – عبدالوهاب الشعراني : ١ / ٦٣ .

٦١) سير أعلام النبلاء: ٨ / ١٧٤ .

٦٢) ينظر : شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية – عبدالرحمن بدوي : ٦ .

٦٣) شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية : ١٥ – ١٦ .

٦٤) تذكرة الأولياء– فريد الدين العطار النيسابوري(ت٦٢٧هـ)– ت.د.منال اليمني عبدالعزيز : ٧ .

٦٥) شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية : ١٦ – ١٧ .

٦٦) الموسوعة الصوفية: ٢٣٠.

٦٧) الرسالة القشيرية : ١ / ١٥٤ .

٦٨) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٤/١ .
٦٩) الرسالة القشيرية: ١٥٣/١ .
٧٠) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٣/١ .
٧١) قوت القلوب: ١ / ٤٥٦ .
٧٢) صفوة الصفوة: ٤ / ٢٨ .
٧٣) المصدر نفسه: ٤ / ٢٧ .
٧٤) صفوة الصفوة: ٤ / ٢٨ .
٧٥) ينظر: لسان العرب: مادة (ب و ر): ٨٦/٤.
٧٦) قوت القلوب: ١ / ٤٥٦ .
٧٧) إحياء علوم الدين : ٣ / ١٠٤
٧٨) سيرة أعلام النبلاء : ٨ / ٢٤٢ .
٧٩) صفة الصفوة: ٤ / ٢٩ .
٨٠) المصدر نفسه: ٤ / ٣٠ .
٨١) الرسالة القشيرية: ١ / ٨٩ .
٨٢)اصطلاحات الصوفية: ١٦٩.
٨٣) الرسالة القشيرية: ١ / ٦٥ . وينظر : صفوة الصفوة ٤ /٣٠ .
٨٤) صفوة الصفوة: ٢٤٦/١.
٨٥) قوت القلوب: ١ / ٢٢١ . و ينظر : إحياء علوم الدين:٢ / ٢٣٧ .
٨٦) الرسالة القشيرية: ٣٧٥/٢.
٨٧) لسان الميزان: ١٧/٢.
٨٨) صفة الصفوة: ٢٨/٤.
٨٩) إحياء علوم الدين: ٤ / ٤٩ .
٩٠) المصدر نفسه: ٤ / ٤٩ .
٩١) روح المعاني: ٣ / ٢٢٢ .
٩٢) الرسالة القشيرية: ٢٥١/١-٢٥٨.

٩٣) نهج البلاغة:١٤- ١٥.
٩٤) صفوة الصفوة: ٤ / ٢٧ .
٩٥) المصدر نفسه: ٤ / ٢٧ .
٩٦) صفوة الصفوة: ٤ / ٢٩ .
٩٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩/٤.
٩٨) ينظر: الرسالة القشيرية: ٢٢٢/١. وينظر: اصطلاحات الصوفية: ١٣٢.
٩٩) ينظر: الدر المنثور في ربات الخدور : ١ / ٣٦٦ – ٣٦٧ .
١٠٠) اصطلاحات الصوفية : ٢٧٩ .
١٠١) المعجم الصوفي: ٣ / ٣٠ .
١٠٢) قوت القلوب: ١ / ٤٥٦ .
١٠٣) ينظر : المصدر نفسه:١ / ٤٥٦ . والفتوحات المكية – ابن عربي ٢ / ٣٨٥ – ٣٥٩ .
١٠٤) ينظر : سير أعلام النبلاء: ٨ / ٢٤١ – ٢٤٣ . و الكامل في التاريخ – ابن الأثير ٥ / ٥٦٥ ، وتاريخ الطبري ٧ / ٦٢٢ ، وتاريخ الإسلام – الذهبي ٦ / ٢٢ ، ودول الإسلام – الذهبي ١ / ٩٧ ، والإحياء – الغزالي ٢ / ٢٦٧ ، وفيات الأعيان – ابن خلكان ٣ / ٢١٥ ، و الرسالة القشيرية : ٨٦ ، وقوت القلوب – المكي ١ / ١٠٣ ، ١٥٦ ، و التعرف لأهل التصوف – الكلاباذي : ٧٣ ، ونفحات الأنس : ٧١٦ ، و الطبقات الكبرى – الشعراني : ٥٦ ، و الكوكب الدري للمناوي : ٩٦ ، ١٠٨ ، و شذرات الذهب ١ / ١٩٣ . وتذكرة الأولياء – العطار ١ / ٥٩، والدر النثور : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، النجوم الزاهرة ١ / ٣٣٠ ، وشرح مقامات – الشريشي ٢ / ٢٣١ . في ابن خلكان نقلا عن ابن الجوزي أن وفاتها ١٣٥ ، وقال غيره ١٨٥ ، وأوردها في النجوم الزاهرة فيمن توفي في سنة ١٣٥ ، و١٨٠ . صفوة الصفوة – ابن الجوزي ٤ / ٣٠٠ ، طبقات الأولياء : ٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١١٠ .
١٠٥) ينظر : الرسالة القشيرية : ١٧١/١ .
١٠٦) ينظر : منازل السائرين – ابو اسماعيل عبداللع الانصاري: ٥٧٤ – ٥٧٥ .
١٠٧) تذكرة الأولياء – فريد الدين العطار النيسابوري (٦١٨ هـ) – ترجمة د . منال اليمني عبدالعزيز: ١ / ٢٦٧ .

١٠٨) ينظر : سير أعلام النبلاء – الذهبي ٨ / ٢٤١ – ٢٤٣ . وينظر : الكامل في التاريخ – ابن الأثير ٥ / ٥٦٥ ، وتاريخ الطبري ٧ / ٦٢٢ ، وتاريخ الإسلام – الذهبي ٦ / ٢٢ ، ودول الإسلام – الذهبي ١ / ٩٧ ، والإحياء – الغزالي ٢ / ٢٦٧ ، و فيات الأعيان ٣ / ٢١٥ ، والرسالة القشيرية : ٨٦ ، وقوت القلوب – المكي ١ / ١٠٣ ، ١٥٦ ، و التعرف لأهل التصوف – الكلاباذي : ٧٣ ، ونفحات الأنس : ٧١٦ ، و الطبقات الكبرى – الشعراني : ٥٦ ، و الكوكب الدري للمناوي : ٩٦ ، ١٠٨ ، و شذرات الذهب ١ / ١٩٣ . وتذكرة الأولياء – العطار ١ / ٥٩، والدر النثور : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، النجوم الزاهرة ١ / ٣٣٠ ، وشرح مقامات – الشريشي ٢ / ٢٣١ . في ابن خلكان نقلا عن ابن الجوزي أن وفاتها ١٣٥ ، وقال غيره ١٨٥ ، وأوردها في النجوم الزاهرة فيمن توفي في سنة ١٣٥ ، و١٨٠ . صفوة الصفوة – ابن الجوزي ٤ / ٣٠٠ ، طبقات الأولياء : ٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١١٠ .

١٠٩) تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ٢ / ٣٩ .

١١٠) قوت القلوب ١ / ١٤٤ .

١١١) صفة الصفوة – ٤ / ٣١ .

١١٢) ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٢ / ٢٨٧ .

١١٣) ينظر : طبقات الأولياء – ابن الملقن : ٩٦ .

١١٤) ينظر : وفيات الأعيان: ٢/٢٨٧. وسير أعلام النبلاء : ٨ / ٢٤٣ .

١١٥) صفة الصفوة : ٤ / ٢٨ .

١١٦) ينظر : رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي : ٢٥ .

١١٧) ينظر : المرجع نفسه : ٦٧ .

١١٨) سير أعلام النبلاء: ٨ / ٢٤١ – ٢٤٣ . وينظر : الكامل في التاريخ – ابن الأثير ٥ / ٥٦٥، وتاريخ الطبري ٧ / ٦٢٢ ، وتاريخ الإسلام – الذهبي: ٦ / ٢٢ ، ودول الإسلام – الذهبي ١ / ٩٧ ، والإحياء – الغزالي ٢ / ٢٦٧ ، و فيات الأعيان ٣ / ٢١٥ ، و الرسالة القشيرية : ٨٦ ، وقوت القلوب – المكي ١ / ١٠٣ ، ١٥٦ ، و التعرف لأهل التصوف – الكلاباذي : ٧٣، ونفحات الأنس : ٧١٦ ، و الطبقات الكبرى – الشعراني : ٥٦ ، و الكوكب الدري للمناوي : ٩٦، ١٠٨ ، و شذرات الذهب ١ / ١٩٣ . وتذكرة الأولياء – العطار ١ / ٥٩ ، والدر النثور : ٢٠٢،

٢٠٣ ، النجوم الزاهرة ١ / ٣٣٠ ، وشرح مقامات – الشريشي ٢ / ٢٣١ . في ابن خلكان نقلا عن ابن الجوزي أن وفاتها ١٣٥ ، وقال غيره ١٨٥ ، وأوردها في النجوم الزاهرة فيمن توفي في سنة ١٣٥ ، و١٨٠ . صفوة الصفوة – ابن الجوزي ٤ / ٣٠٠ ، طبقات الأولياء : ٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١١٠ .

١١٩) صفة الصفوة – ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ٤ / ٢٨ .

المصادر والمراجع:

١. الآحاد والمثاني– أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني– تحقيق . د. باسم فيصل أحمد الجوابرة– دار الراية– الرياض – سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٢. إحياء علوم الدين– أبو حامد محمد بن حمد الغزالي(ت٥٠٥هـ) – اعتنى به وضبطه القاضي الشيخ محمد الدالي بلطة– المكتبة العصرية – بيروت. لبنان – سنة ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
٣. اصطلاحات الصوفية– كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني – صححه وقدم له مجيد هادي زاده – انتشارات حكمت – طهران ١٣٨١هـ.
٤. الأعلام– خيرالدين الزركلي(ت ١٩٨٩م)– دار العلم للملايين– بيروت.لبنان–ط٥ سنة ١٩٨٠م.
٥. البيان والتبيين– الجاحظ (ت٢٥٥هـ) – تحقيق عبدالسلام هارون – دار الفكر – القاهرة. مصر.
٦. تاريخ ابن خلدون– ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) – دار إحياء التراث العربي– بيروت. لبنان – د.ت.
٧. تاريخ الإسلام – شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) – تحقيق د.عمر عبدالسلام تدمري– ط١ سنة ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م– لبنان– بيروت– دار الكتاب العربي.
٨. تاريخ الأمم والملوك – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – ت. نخبة من العلماء – مؤسسة الأعلمي – بيروت. لبنان – د. ت.
٩. تاريخ بغداد – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) – ت . مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان – ط ١ سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
١٠. تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني – د . عبدالرحمن بدوي – الناشر وكالة المطبوعات. الكويت – ط ١ سنة ١٩٧٥م.

١١. التاريخ الكبير – أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ) – الناشر المكتبة الإسلامية. ديار بكر – د.ت.
١٢. تذكرة الأولياء – فريد الدين العطار النيسابوري (ت٦٢٧هـ) – تحقيق.د.منال اليمني عبدالعزيز– الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة . مصر– ط ١ سنة ٢٠٠٦م.
١٣. التعرف لمذهب أهل التصوف – أبوبكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت٣٨٠هـ) – تحقيق وتعليق الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود – الناشر مكتبة الثقافة الدينية – ط١ سنة ١٤٢٤ هـ ت ٢٠٠٤ م.
١٤. تهذيب الكمال – جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ – ٧٤٢هـ) – ت.د.بشار عواد معروف – الناشر مؤسسة الرسالة – ط ٤ سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م .
١٥. الثقات – ابن حبان (ت٣٥٤هـ) – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد. الهند – الناشر مؤسسة الكتب الثقافية – ط ١ سنة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م.
١٦. جامع الأحاديث – للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) – جمع وترتيب: عباس أحمد صقر ، أحمد عبدالجواد – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت.لبنان – د.ت.
١٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني – دار الكتاب العربي – بيروت . لبنان – ط ٤ سنة ١٤٠٥هـ.
١٨. الحيوان – الجاحظ – تحقيق عبدالسلام هارون – الناشر مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – سنة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.
١٩. الدر المنثور – جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) – دار الفكر – بيروت سنة ١٤٠٣هـ.
٢٠. دول الإسلام – شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – تحقيق. حسن إسماعيل مروة، ومحمد الأرناؤوط – دار صادر – ط ١ سنة ١٩٩٩م.
٢١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة – العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ) – دار الأضواء – بيروت. لبنان – ط ٣ سنة ١٤٠٣هـ.
٢٢. رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي – مأمون غريب – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة. مصر – د.ت.

٢٣. الرسالة القشيرية – الإمام أبو القاسم عبدالكريم القشيري (ت٤٦٥هـ) – ت.د. عبدالحليم محمود و د. محمود بن الشريف – دار المعارف – سنة ١٩٩٥ م.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) – إدارة الطباعة المنيرية – مصر .القاهرة – د.ت.
٢٥. سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) – ت . شعيب الأرناؤوط ، وحسين الأسد – الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت . لبنان – ط ٩ سنة١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٢٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب – لأبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد الصالحي المسعودي (١٠٨٩هـ) – مكتبة القدسي – القاهرة سنة ١٣٥٠هـ.
٢٧. شرح أصول الكافي – مولى محمد صالح (ت١٠٨١هـ) – تحقيق الميرزا أبي الحسن الشعراني– ضبطه وصححه علي عاشور – ط١ سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٨. شرح مقامات الحريري – أبو العباس أحمد عبد المؤمن القيسي الشريشي – المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – سنة 1413هـ – ١٩٩٢م
٢٩. صفة الصفوة –أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) – تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي – دار المعرفة – بيروت . لبنان – ط ٢، ١٣٩٩ – ١٩٧٩م.
٣٠. طبقات ابن الخياط – خليفة بن الخياط (ت٢٤٠هـ) – ت.د. سهيل زكار – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت. لبنان ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
٣١. طبقات الأولياء – ابن الملقن – نور الدين شريبه – مكتبة الخانجي – ط٤ سنة١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٣٢. طبقات الصوفية – أبوعبدالرحمن السلمي (ت٤١٢هـ) – ت. نور الدين شريبة – الناشر مكتبة الخانجي – مصر. القاهرة – ط ٣ سنة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٣٣. الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية – للعارف بالله الإمام عبد الوهاب الشعراني – تحقيق وضبط: أحمد عبد الرحيم السايح ، توفيق علي وهبة – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

٣٤. قوت القلوب – أبو طالب المكي – المطبعة المعينية – مصر ١٣٤٥هـ
٣٥. الكامل في التاريخ – ابن الأثير – نشره المستشرق كارل ثورنبرج – ليدن سنة ١٨٦٣م .
٣٦. كمال الدين وتمام النعمة – أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) – صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري – مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، إيران – سنة ١٤٠٥ هـ .
٣٧. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية – عبدالرؤف المناوي – القاهرة .
٣٨. لسان الميزان – شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) – الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت . لبنان – ط ٢ سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م .
٣٩. مجموع الفتاوى – أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨ هـ) –
٤٠. مختصر تاريخ دمشق – ابن منظور – المطبعة الحسينية – القاهرة سنة ١٣٢٥هـ.
٤١. معجم البلدان–الشيخ ياقوت الحموي الرومي البغدادي(ت ٦٢٦ هـ)– قدم لها محمد عبدالرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت. لبنان. د. ت.
٤٢. المعجم الصوفي – د . سعاد الحكيم – المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر – بيروت. لبنان – ط١ سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٤٣. الموسوعة الصوفية – د. عبدالمنعم الحفني – الناشر مكتبة مدبولي – القاهرة. مصر – ط١ سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٤٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨٧٤هـ) ، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان – د.ت.
٤٥. نفحات الأنس – عبدالرحمن الجامي – طهران سنة ١٣٧٠ش.
٤٦. نهج البلاغة – مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام – تحقيق السيد جعفر الحسيني – دار الثقلين – قم. إيران – ط١ سنة ١٤١٩هـ.
٤٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ – ٦٨١) – حققه د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت . د . ت .